مفهوم الغلو والتطرف
جذوره التاريخية ومعالجاته
- دراسة موضوعية -

the Concept of Extremism and Radicalization:
Their Historical Roots and Approaches to Addressing Them

الباحث

أ.م. ساجد صبري نعمان

Sajid Sabri Noaman

الايميل الجامعي: sajid.s.noaman@aliraqia.edu.iq

الجامعة العراقية، كلية العلوم الإسلامية

الباحث

أ.د. رعد حميد توفيق

Raad Hameed Tawfiq

الايميل الجامعي: raad.h.tawfiq@aliraqia.edu.iq

الجامعة العراقية، كلية العلوم الاسلامية

Journal of Islamic Sciences
Vol.3 | Issue 43
ISSN: 2225-9732
August 2026

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة الغلو في الخطاب من منظور تحليلي، بوصفها من القضايا الفكرية والاجتماعية التي تترك آثارًا مباشرة في استقرار المجتمعات وتماسكها. وتتمثل هذه الظاهرة في مجاوزة حد الاعتدال والوسطية في تبني الأفكار والتعبير عن المواقف، الأمر الذي يفضي إلى بروز صور متعددة من التشدد والتعصب والإقصاء الفكري، وما يترتب عليها من اضطراب في العلاقات الاجتماعية وإضعاف قيم التعايش.

ويتناول البحث تأصيل مفهوم الغلو في الخطاب، وتحليل أسبابه الفكرية والنفسية والاجتماعية، مع استعراض أبرز تجلياته في المجالات الدينية والثقافية والإعلامية.

الكلمات المفتاحية: (الغلو، التطرف، الدراسة الموضوعية، التكاره، الفكر الإسلامي).

Abstract:

This study aims to examine the phenomenon of extremism in discourse through an analytical approach, considering it one of the intellectual and social issues that directly affect the stability and cohesion of societies. The phenomenon is manifested in exceeding the limits of moderation and balance in adopting ideas and expressing viewpoints, leading to various forms of rigidity, fanaticism, and intellectual exclusion, with consequent negative repercussions on social harmony and peaceful coexistence.

level, extremism in discourse contributes to the formation of rigid attitudes, weakens critical thinking, and diminishes the capacity for constructive dialogue and acceptance of others. At the societal level, it fosters division, hatred, and social polarization, threatens civil peace, and hinders sustainable development and societal stability.

The study concludes that addressing extremism in discourse requires an Keywords: Extremism in Discourse; Moderation (Wasatiyyah); Intellectual Extremism; Causes of Extremism; Strategies for Prevention and Treatment.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، حمداً يليق بجلاله وكماله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد؛

فقد جاء الإسلام بمنهجٍ قويمٍ يقوم على الوسطية والاعتدال، ويوازن بين مصالح الفرد والمجتمع، ويحفظ الضرورات التي قامت عليها الشريعة الإسلامية، ويمنع أسباب الانحراف والغلو والتقصير. وقد أكدت النصوص الشرعية هذا الأصل تأكيدًا واضحًا، فنهت عن مجاوزة حدود الاعتدال، وحذرت من الغلو في الاعتقاد والقول والعمل؛ لما يترتب عليه من آثار سلبية تمس الفرد والمجتمع. قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال النبي ﷺ: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» رواه النسائي وابن ماجه، وصححه الألباني.

ويُعد الغلو والتطرف من أبرز القضايا الفكرية التي استحوذت على اهتمام الباحثين في العصر الحديث، لما لهما من آثار واسعة في زعزعة الأمن الفكري والاجتماعي، وإثارة النزاعات، وتشويه صورة الإسلام، وإضعاف قيم التعايش والتسامح. ولا يقتصر ظهور هاتين الظاهرتين على العصر الحاضر، بل تمتد جذورهما إلى عصور مبكرة من التاريخ؛ إذ شهد التاريخ الإسلامي وغيره من الحضارات صورًا متعددة من الغلو في الاعتقاد أو السلوك، وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض تلك النماذج، كما برزت في التاريخ الإسلامي جماعات تجاوزت حدود الاعتدال في فهم النصوص الشرعية وتطبيقها، وكان لذلك آثار فكرية واجتماعية امتدت إلى مراحل تاريخية لاحقة.

ومع التحولات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي يشهدها العالم المعاصر، واتساع وسائل الاتصال والإعلام، برزت أنماط جديدة من الغلو والتطرف اتسمت بقدر أكبر من التعقيد والتأثير، نتيجة تداخل عوامل دينية وفكرية وسياسية واقتصادية ونفسية وإعلامية، الأمر الذي يجعل دراسة هذه الظاهرة دراسةً علميةً رصينة ضرورةً لفهم أبعادها، والكشف عن أسبابها، وتحليل آثارها، واقتراح السبل الكفيلة بالحد من انتشارها.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من الحاجة إلى معالجة مفهوم الغلو والتطرف معالجةً علميةً موضوعية، تستند إلى النصوص الشرعية الصحيحة، وإلى التحليل العلمي الرصين، بعيدًا عن الأحكام العامة

أو التفسيرات الأيديولوجية، بما يسهم في بيان حقيقة هذين المفهومين، والكشف عن جذورهما التاريخية، وتحليل العوامل المؤدية إلى ظهورهما، وبيان أبرز المعالجات الشرعية والفكرية والتربوية التي تعزز قيم الوسطية والاعتدال، وتدعم الأمن الفكري، وتسهم في بناء مجتمع يسوده التعايش والاستقرار.

وانطلاقًا من ذلك، جاءت هذه الدراسة الموسومة ب «مفهوم الغلو والتطرف وجذوره التاريخية والمعالجات: دراسة موضوعية»؛ لتتناول مفهوم الغلو والتطرف من حيث الدلالة اللغوية والاصطلاحية، وتتبع نشأتهما وجذورهما التاريخية، وتحليل أبرز الأسباب المؤدية إليهما، مع عرض أهم المعالجات المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وما قرره العلماء والباحثون في هذا المجال، وصولًا إلى تقديم رؤية علمية تسهم في ترسيخ منهج الوسطية والاعتدال، وتعزيز الأمن الفكري، وتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ الدين والنفس والمجتمع.

أولا: أهمية البحث:

١ - اماطة اللثام عن ظاهرة الغلو والتطرف وبيان آثاره السلبية على الفرد والمجتمع.

٢ - اظهار موقف الإسلام من الغلو والتطرف والدعوة إلى الاعتدال والوسطية.

٣ - المشاركة في العرف على الأسباب المؤدية إلى انتشار الخطابات المتطرفة.

٤ - تعزيز ثقافة الحوار والتسامح وقبول الآخر بين أفراد المجتمع.

وتقديم رؤية علمية تساعد في وضع حلول للحد من ظاهرة الغلو وآثارها.

ثانيا: أهداف البحث:

١ - التعريف بمفهوم الغلو والتطرف وبيان خصائصه ومظاهره.

٢ - الكشف عن الأسباب الفكرية والاجتماعية والنفسية المؤدية إلى الغلو.

٣ - تحليل الآثار المترتبة على الغلو في والتطرف على الفرد.

٤ - دراسة انعكاسات الغلو على الأمن الفكري والتماسك المجتمعي وتقديم معالجات وتوصيات تسهم في تعزيز معالجة في اخطار الغلو والتطرف على المجتمع. ولذا جاء هذه البحث ليشتمل على تعريف التطرف والغلو وجذوره التاريخية، وأسبابها، ومظاهرها، وعلاجها، ثم الخاتمة .

المبحث الأول: تعريف عام بمصطلحات البحث

المطلب الأول: التعريفات

التطرف لغةً:

التطرف مشتق من مادة (طرف)، ويأتي على وزن تفعّل، ويدل في أصل اللغة على الميل إلى أحد طرفي الشيء، سواء أكان ذلك الطرف إفراطًا أم تفريطًا، في مقابل التوسط والاعتدال(١). ويطلق لفظ الطرف كذلك على الناحية أو الجانب من الشيء، ومن هذا الأصل اللغوي نشأ استعمال مصطلح التطرف للدلالة على الانحياز إلى أحد الجانبين دون التزام منهج الوسط والاعتدال(٢).

أما في الاستعمال المعاصر، فقد اتسع مدلول التطرف ليشمل مجاوزة حد الاعتدال في الاعتقاد أو الفكر أو السلوك أو المواقف، سواء ارتبط ذلك بجماعة أو مذهب أو اتجاه فكري أو سياسي أو ديني. ومن ثم أصبح يوصف به مختلف الاتجاهات التي تتبنى مواقف متشددة أو متعصبة، دون أن يقتصر استعماله على فئة أو دين بعينه، ولذلك شاع وصف بعض الحركات أو الأحزاب بأنها يمينية متطرفة أو يسارية متطرفة أو دينية متطرفة.

ومع أن إطلاق وصف التطرف على الغلو من الناحية اللغوية له ما يبرره؛ لاجتماعهما في مجاوزة حد الاعتدال والأخذ بأحد الطرفين، إلا أن ضبط هذا الوصف في المجال الشرعي ينبغي أن يكون منطلقه النصوص الشرعية، لا الاصطلاحات المتداولة أو المفاهيم العرفية التي قد تختلف باختلاف البيئات والثقافات. وقد دل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع: (أمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)(٣)

وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى، فنهى عن الغلو في الدين وعدَّه سببًا للانحراف عن الحق، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾(٤)، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

(١) تاج العروس شرح القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي طبعة الكويت، سنة، ٢٠٠٨م، ص١٦٢.

(٢) الإسلام والإرهاب، للشيخ أحمد القطان، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ص٧٨.

(٣) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ت٢٥٦هـ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ، باب الغلو، رقم الحديث(٣٢٩).

(٤) سورة النساء، الآية ١٧١.

لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[1]. ومن ثم فإن استعمال المصطلحات الشرعية الواردة في الكتاب والسنة يبقى أولى بالدقة والانضباط عند تناول هذه المفاهيم في الدراسات العلمية.

التطرف اصطلاحًا:

يقصد بالتطرف في الاصطلاح مجاوزة حد الاعتدال والتوسط، سواء أكان ذلك بالميل إلى الإفراط أم إلى التفريط، إذ يتحقق التطرف بالخروج عن المنهج القويم والاتجاه نحو أحد طرفي السلوك أو الفكر، زيادةً أو نقصانًا، بما يؤدي إلى الإخلال بالتوازن الذي تقوم عليه الأحكام والمواقف.([2]

الغلو: يُعد الغلو من الظواهر التي حذرت منها الشريعة الإسلامية لما يترتب عليه من آثار تمس سلامة الاعتقاد واستقامة السلوك، ولذلك ورد النهي عنه في القرآن الكريم عند مخاطبة أهل الكتاب، مبينًا أن مجاوزة حدود الاعتدال في الدين كانت من أسباب الانحراف عن العقيدة الصحيحة والبعد عن منهج التوحيد. ومن هنا تبرز أهمية بيان مفهوم الغلو لغةً واصطلاحًا؛ تمهيدًا لفهم حقيقته وآثاره.

الغلو لغةً: يدل الغلو في أصل اللغة على تجاوز الحد ومجاوزة القدر المشروع في الأقوال أو الأفعال. فيقال: غلا في الأمر إذا جاوز حده، [3] ويُوصف من بالغ وتشدد فيما لا يقتضي التشديد بأنه غالٍ[4]. كما عرفه ابن فارس بأنه مجاوزة الحد، [5] وهو تعريف يتسم بالعموم؛ إذ يشمل كل صور الإفراط والمبالغة والخروج عن حد الاعتدال، سواء أكان ذلك في الاعتقاد أم في القول أم في العمل، ويدخل فيه كذلك ما يكون ناشئًا عن التشدد أو التكلف

الغلو اصطلاحًا: تناول علماء التفسير وأصول الفقه مفهوم الغلو بتعريفات متعددة، تدور جميعها حول معنى مجاوزة الحد المشروع والمبالغة فيما لم يرد به الشرع. ومن أبرز هذه التعريفات ما أورده

(١) سورة المائدة، الآية ٧٧ .

(٢) حقيقة التطرف، ، د. عمر عبد الكافي، دار إحياء الكتب العربية ١٩٨٨، ص٩٩.

(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ٢٠٠٠ م، ، (٦ / ٥٧).

(٤) ينظر: المعجم الوسيط (٢ / ٦٦٠)

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٤ / ٣٨٨)

الإمام الشاطبي[1] إذ عرف الغلو بأنه: "المبالغة في الأمر ومجاوزة الحد فيه إلى حيز الإسراف[2]".

المطلب الثاني: أنواع الغلو

أنواع الغلو[3]: لا يقتصر الغلو على صورة واحدة، بل تتعدد صوره تبعًا للمجال الذي يقع فيه. ويمكن تقسيمه إلى نوعين رئيسين، هما: الغلو الاعتقادي، والغلو العملي.

أولاً: الغلو الاعتقادي

ويقصد به مجاوزة الحد في مسائل الاعتقاد وما يتفرع عنها من أصول الدين، ولذلك يوصف بأنه غلو كلي؛ لما يترتب عليه من آثار تتجاوز المسائل الجزئية إلى الإخلال بالأصول العامة للشريعة. وقد يظهر هذا النوع في صور متعددة، من أبرزها المبالغة في تطبيق بعض المفاهيم الشرعية دون مراعاة ضوابطها، كالغلو في قضية الولاء والبراء، بحيث يصل الأمر إلى تكفير أفراد المجتمع لمجرد وقوعهم في المعاصي أو المخالفات، ثم الحكم باعتزالهم ومفارقتهم. كما يدخل في هذا النوع التوسع في التشدد في عدد كبير من المسائل الفرعية حتى تصبح تلك الانحرافات الجزئية، بمجموعها، منهجًا عامًا يخالف مقاصد الشريعة وأصولها[4].

ومن ثم فإن كثرة المخالفة في الجزئيات قد تؤدي إلى نتائج تماثل آثار الانحراف في القضايا الكلية؛ لأن تكرار الانحراف في الفروع يفضي في النهاية إلى خلل شامل في فهم الدين وتطبيقه، وهو ما يجعل هذا اللون من الغلو ذا أثر بالغ في البناء العقدي والفكري.

ثانيًا: الغلو العملي

ويقصد به مجاوزة الحد في الأعمال والعبادات، وذلك بإلزام النفس بما لم يلزمها الله تعالى به، أو بالمبالغة في ممارسة بعض العبادات على وجه يخالف هدي الشريعة. ومن أمثلة ذلك المداومة على قيام الليل دون راحة، أو صيام الدهر كله، أو الامتناع عن بعض المباحات والطيبات

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الغرناطي، المالكي الشهير بالشاطبي، فقيه أصولي، مات عام ٧٩٠ هـ، من مؤلفاته: الموافقات، والاعتصام. ينظر: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، أحمد بابا التنبكي، تحقيق د علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م، (١ / ٩١).

(٢) ينظر: الاعتصام، أبي إسحاق الشاطبي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، بلا تاريخ، (١ / ٣٠٤).

(٣) إرهاب المتطرفين، للشيخ عبد الوهاب الطريري، دار العلم للملايين بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ص١٨٧.

(٤) عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ، ص ٦٣ - ٧١.

على سبيل التعبد، مع أن الشريعة قامت على التوازن ورفع الحرج، ولم تشرع التشديد على النفس أو تحريم ما أحله الله.

ومع أن الغلو العملي مذموم شرعًا، إلا أن الغلو الاعتقادي يعد أشد خطرًا؛ لأن آثاره لا تقتصر على سلوك الفرد، وإنما تمتد إلى وحدة الأمة واستقرارها، إذ قد يؤدي إلى ظهور الفرق والانقسامات الفكرية والعقدية. ولهذا عدَّه العلماء من أخطر أسباب الافتراق، واستدلوا بحديث النبي ﷺ(وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة)[1]، وبيّنوا أن المقصود بذلك فرق أمة الإجابة، لا عموم الناس من أمة الدعوة. [2]

المبحث الثاني:

المطلب الأول: لماذا الحديث عن التطرف والغلو ؟

لا يُعد الغلو في الدين ظاهرة حديثة النشأة، بل هو من الظواهر التي صاحبت بعض الأمم السابقة، وقد أشار القرآن الكريم إلى وقوعه عند أهل الكتاب، كما ظهرت صوره في تاريخ المسلمين لدى بعض الفرق والتيارات التي تجاوزت حدود الاعتدال في فهم النصوص الشرعية وتطبيقها. ومن ثم فإن دراسة هذه الظاهرة لا تنطلق من كونها قضية معاصرة فحسب، وإنما لامتدادها التاريخي وآثارها الفكرية والاجتماعية، الأمر الذي يبرز أهمية بحثها وبيان أسبابها وسبل معالجتها.

وتبرز أهمية تناول هذه القضية في جملة من الاعتبارات، من أهمها:

أولاً: أن الغلو يمثل واقعًا قائمًا لا يمكن تجاهله، ومن ثم فإن معالجته بالحوار العلمي والنقد الموضوعي أولى من إهماله أو التغاضي عنه؛ لأن الشريعة الإسلامية قامت على مبدأ النصح والإصلاح، وقد قال النبي ﷺ: «الدين النصيحة.»[3]

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب شرح السنة، رقم (٤٥٩٦)، والترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم (٢٦٤١)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب افتراق الأمم، رقم (٣٩٩٢). وصححه عدد من أهل العلم

(٢) الإسلام والإرهاب، للشيخ أحمد القطان، مصدر سابق، ١٩٩٥، ص١٨٧.

(٣) الغلو: أسبابه وآثاره وعلاجه، ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٩٩٧م، ص١١–٥٨.

ثانيًا: أن مصطلحات مثل: التطرف والإرهـاب والأصولية أصبحت متداولة في كثير من الكتابات والدراسات الغربية، وغالبًا ما تُستخدم دون تمييز دقيق بين المفاهيم أو بين الممارسات المختلفة. لذلك تبرز الحاجة إلى بيان هذه المصطلحات من منظور علمي وشرعي يوضح حدودها ويزيل ما قد يحيط بها من غموض أو خلط.

ثالثًا: أن موضوع التطرف يتجدد حضوره في الخطاب السياسي والإعلامـي كلما وقعت أحداث أمنية أو نزاعات دولية، الأمر الذي يجعله من القضايا المتجددة التي تستدعي دراسة مستمرة في ضوء المتغيرات الفكرية والاجتماعية، لا سيما بعد الأحداث التي شهدها العالم خلال العقود الأخيرة.

رابعًا: أن مفهوم الإرهـاب في الخطاب السياسي والإعلامـي أصبح في كثير من الأحيان واسع الدلالة، حتى أُدرجت تحته قضايا تختلف في طبيعتها وأهدافها، كما استُخدمت بعض الإجراءات الأمنية والعسكرية في مواجهة هذه الظاهرة دون معالجة أسبابها الفكرية أو الاجتماعية أو السياسية، وهو ما يدعو إلى دراسة جذورها دراسة علمية متوازنة.(١)

خامسًا: يؤدي الإعلام دورًا مؤثرًا في تشكيل الرأي العام، وقد تسهم بعض المعالجات الإعلامية في ترسيخ صور نمطية تربط بين الإسلام وبعض مظاهر العنف أو التطرف، مع إغفال التمييز بين التعاليم الإسلامية وبين التصرفات التي تصدر عن أفراد أو جماعات لا تمثل الإسلام في حقيقته. (٢)

ومن هنا تبرز أهمية التفريق بين الالتزام بأحكام الشريعة وبين الغلو في تطبيقها أو فهمها؛ إذ إن الخلط بين هذين الأمرين يؤدي إلى إصدار أحكام غير دقيقة، وإلى توسيع دائرة الاتهام لتشمل مظاهر التدين المشروع، في حين أن الغلو له ضوابطه ومظاهره التي ينبغي تحديدها وفق المعايير الشرعية والعلمية، بعيدًا عن التعميم أو الأحكام المسبقة(٣).

كما ينبغي التأكيد على أن معالجة ظاهرة الغلو تستلزم قدرًا كبيرًا من الموضوعية والإنصاف، مع تجنب المبالغة في تقدير حجمها أو تعميمها على فئات واسعة من الشباب؛ لأن التناول

(١) الخصائص العامة للإسلام د يوسف القرضاوي، دار المعرفة الدار البيضاء، بدون طبعة وتاريخ، دار النشر، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة، ط١، ١٤١٢هـ، ٢٠٠٠م، ص١٨٧.

(٢) الإسلام والإرهاب، للشيخ أحمد القطان، مصدر سابق، ١٩٩٥، ص١٨٧.

(٣) إرهاب المتطرفين، للشيخ عبد الوهاب الطريري، مصدر سابق، ص ١٩٠ .

غير المنضبط قد يفضي إلى نتائج عكسية لا تخدم البحث العلمي ولا تسهم في فهم الظاهرة فهمًا صحيحًا.

العلاقة بين الغلو والتطرف: يرتبط مفهوما الغلو والتطرف بعلاقة وثيقة، إلا أنهما ليسا مترادفين؛ فالتطرف أوسع دلالة، إذ يطلق على الميل إلى أحد طرفي الأمر، سواء أكان ذلك بالإفراط أم بالتفريط، أما الغلو فيختص غالبًا بتجاوز الحد المشروع عن طريق الزيادة والمبالغة، ولذلك يمكن القول إن كل غلو يُعد صورة من صور التطرف، بينما لا يلزم أن يكون كل تطرف غلوًا؛ لأن التطرف قد يتحقق أيضًا بالتقصير أو التفريط.(١)

أسباب التطرف والغلو: تشير الدراسات المتخصصة إلى أن ظاهرة التطرف والغلو لا ترجع إلى سبب واحد، و إنما تنشأ نتيجة تداخل مجموعة من العوامل الفكرية والتربوية والنفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، حيث تتفاعل هذه العوامل فيما بينها بدرجات متفاوتة، فتسهم في تكوين البيئة التي تساعد على ظهور الأفكار المتشددة وانتشارها. كما أن مظاهر التطرف قد تصدر عن أفراد أو جماعات، وقد تمارسها مؤسسات أو أنظمة عندما تتجاوز حدود العدل والاعتدال، ومن ثم فإن معالجة هذه الظاهرة تقتضي الوقوف على أبرز أسبابها وتحليلها تحليلاً علمياً.

أولاً: الجهل بأحكام الشريعة

يعد ضعف التأصيل الشرعي وقلة العلم بأحكام الدين من أهم الأسباب التي قد تفضي إلى الغلو، ولا سيما إذا اقترن ذلك بالحماسة الدينية والرغبة في نصرة الدين دون امتلاك أدوات الفهم الصحيح للنصوص. وقد يترتب على هذا القصور التسرع في إصدار الأحكام على الأفراد، وربما وصل الأمر إلى تكفير المسلم لمجرد وقوعه في معصية أو مخالفة، دون مراعاة الضوابط الشرعية التي قررها أهل العلم في هذا الباب.(٢)

ويرجع هذا الخلل إلى ضعف الوعي بمقاصد الشريعة، وقصور الفهم في التعامل مع النصوص الشرعية، والتصدي للقضايا والنوازل من غير المختصين، مما يؤدي إلى تنزيل الأحكام في غير مواضعها. ومن هنا فإن العلاج يبدأ بنشر العلم الشرعي الصحيح، وتعزيز ثقافة الحوار والمناظرة العلمية، وفتح المجال أمام العلماء للإجابة عن الإشكالات الفكرية، اقتداءً بما وقع من مناظرة

(١) الإسلام والإرهاب، ص١٨٩.

(٢) الخصائص العامة للإسلام د يوسف القرضاوي، مصدر سابق، ص١٩١.

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما للخوارج، وكذلك ما قام به عمر بن عبد العزيز رحمه الله من محاورة أصحاب الفكر المنحرف، حيث أسهم ذلك في رجوع عدد منهم إلى الحق.(١)

ثانياً: الانحراف في فهم النصوص الشرعية

ومن الأسباب المؤدية إلى الغلو تحميل النصوص الشرعية ما لا تحتمله، أو تفسيرها بما يوافق الأهواء والاتجاهات الشخصية، بعيداً عن قواعد الاستدلال المعتبرة عند أهل العلم. وينتج عن ذلك ضعف الثقة بالعلماء، والاعتماد على الفهم الفردي للنصوص دون الرجوع إلى أهل الاختصاص، الأمر الذي يفتح المجال لظهور التأويلات المنحرفة والأفكار المتشددة.

ثالثاً: العوامل الاجتماعية

قد تسهم بعض الأوضاع الاجتماعية في إيجاد بيئة تساعد على نشوء التطرف، لاسيما إذا انتشرت المظاهر المخالفة للقيم الدينية، أو ضعفت مؤسسات التربية والإصلاح، أو غاب الخطاب الديني المعتدل. كما أن الإساءة إلى الدين أو حملته، والتضييق على وسائل التعبير المشروعة، قد تؤدي إلى ردود أفعال متشددة لدى بعض الأفراد، وإن كانت تلك الردود لا تجد ما يبررها من الناحية الشرعية. (٢)

رابعاً: العوامل السياسية

تلعب الظروف السياسية دوراً مؤثراً في تنامي بعض صور التطرف، سواء على المستوى الخارجي أو الداخلي. فالصراعات المسلحة، والاحتلال، والاعتداء على الشعوب، وما يصاحب ذلك من انتهاكات لحقوق الإنسان، قد تولد لدى بعض الشباب مشاعر الغضب والرغبة في الانتقام، ولا سيما إذا غابت المعالجات العادلة لهذه القضايا. كما أن التضييق على الحريات المشروعة أو غياب العدالة وسيادة القانون قد يسهم في توفير بيئة تستغلها التيارات المتطرفة في نشر أفكارها واستقطاب الأفراد.(٣)

خامساً: العوامل الاقتصادية

ولا يمكن إغفال أثر الظروف الاقتصادية في تكوين بعض الاتجاهات المتشددة؛ إذ إن انتشار البطالة، واتساع الفجوة بين الطبقات، وسوء توزيع الثروات، وارتفاع معدلات الفقر، قد ينعكس

(١) من الإرهابي، الأستاذ وجدي غنيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩، ص٢١٦.
(٢) من الإرهابي، مصدر سابق، ص٢١٧.
(٣) ينظر: ناصر بن عبد الكريم العقل، الغلو: أسبابه وآثاره وعلاجه، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ، ص ٨٣ - ٩٩.

سلباً على الاستقرار النفسي والاجتماعي، ويولد شعوراً بالإحباط أو التهميش لدى بعض الفئات. وإذا اجتمعت هذه الظروف مع ضعف الوعي الديني أو التأثيرات الفكرية المنحرفة، فقد تصبح بيئة مهيأة لاستقبال الأفكار المتطرفة واستغلالها في تبرير العنف أو تأجيج مشاعر العداء تجاه المجتمع أو مؤسساته.(١)

المطلب الثاني: مظاهر التطرف والغلو

آثار التطرف والغلو: يترتب على التطرف والغلو جملة من الآثار السلبية التي تنعكس على الفرد والمجتمع، ومن أبرزها ما يأتي:

١. المبالغة في إظهار التدين بقصد التميز عن الآخرين أو إثبات الذات، بما قد يؤدي إلى تجاوز حدود الاعتدال الذي جاءت به الشريعة الإسلامية.

٢. الانحراف إلى الطرف المقابل المتمثل في التفريط، وهو ما قد يقود إلى ضعف الالتزام بالقيم الدينية والأخلاقية، وربما يفضي ببعض الأفراد إلى تبني أفكار إلحادية أو سلوكيات منحرفة، أو اللجوء إلى وسائل غير مشروعة – كتعاطي المخدرات والمسكرات – هربًا من الضغوط النفسية والاجتماعية.

٣. التعصب للآراء ورفض الحوار مع المخالف، الأمر الذي يضعف ثقافة التعايش ويؤدي إلى التضييق على الناس بإلزامهم بما لم يلزمهم به الشرع، فضلاً عما يترتب عليه من انتشار مظاهر الشدة والغلظة والإضرار بالآخرين.

علاج التطرف والغلو: تتطلب معالجة ظاهرة التطرف والغلو تبني رؤية شاملة تراعي الجوانب الفكرية والتربوية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومن أبرز وسائل العلاج ما يأتي:

أولاً: تعزيز دور العلماء المشهود لهم بالعلم والاعتدال والاستقلالية، وتمكينهم من أداء رسالتهم العلمية والتوجيهية، مع إتاحة المنابر المناسبة لنشر الفكر الوسطي، وترسيخ مكانتهم بوصفهم مرجعًا علميًا يسهم في توجيه المجتمع ومعالجة الانحرافات الفكرية.

كما ينبغي اعتماد الحوار العلمي الهادئ مع أصحاب الأفكار المتطرفة أو من تأثروا بالشبهات، بهدف تشخيص أسباب الانحراف الفكري وتصحيح المفاهيم الخاطئة، بعيدًا عن أساليب

(١) حقيقة التطرف، د. سلمان العوده، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠، ص٩٨.

التشهير أو إصدار الأحكام المسبقة أو توظيف القضية لتحقيق مصالح شخصية أو سياسية.

ثانيًا: إنشاء فرق عمل ولجان علمية تضم مختصين في العلوم الشرعية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية، تتولى دراسة الظاهرة دراسة ميدانية، ووضع برامج علاجية ووقائية تستند إلى نتائج البحوث والدراسات العلمية. (١)

ثالثًا: دعم المؤسسات التربوية والإعلامية في ترسيخ القيم الأخلاقية، وتعزيز احترام الثوابت الدينية، مع الالتزام بالخطاب الإعلامي المسؤول الذي يسهم في بناء الوعي، ويحد من كل ما من شأنه إثارة الانحراف الفكري أو السلوكي داخل المجتمع.

رابعًا: العمل على معالجة العوامل السياسية التي قد تسهم في تغذية مشاعر الاحتقان، وذلك من خلال تعزيز مبادئ العدالة، واحترام الحقوق التي يكفلها النظام، وتوسيع مجالات الحوار، بما يسهم في الحد من استغلال هذه القضايا في نشر الفكر المتطرف.

خامسًا: الاهتمام بالجانب الاقتصادي، من خلال توفير فرص العمل للشباب، وتحقيق قدر أكبر من العدالة في توزيع الموارد، ودعم المبادرات التي تعزز المشاركة المجتمعية، بما يسهم في تقليل العوامل التي قد تستغلها الجماعات المتطرفة في استقطاب الشباب. (٢)

سادسًا: ترسيخ مبدأ العدل وصيانة الحقوق بمختلف أنواعها، سواء كانت حقوقًا مالية أو اجتماعية أو سياسية أو شخصية، إذ إن سيادة العدل تعد من أهم مقومات استقرار المجتمعات والحد من مظاهر التطرف، بينما يؤدي انتشار الظلم إلى إيجاد بيئة خصبة لنمو الأفكار المنحرفة. (٣)

سابعًا: العناية بالجانب الإيماني والتربوي لدى الشباب، من خلال تنفيذ البرامج التثقيفية والندوات العلمية، ودعم الأنشطة الرياضية والثقافية، وتفعيل دور المساجد والمؤسسات التعليمية في نشر قيم الوسطية والاعتدال، بما يسهم في بناء شخصية متوازنة قادرة على مواجهة الأفكار المنحرفة.

(١) ظاهرة التطرف والغلو في الدين، يوسف أحمد أبو حجر، دار الفكر بيروت، سنة، ٢٠٠٥، ص٩٠.
(٢) ظاهرة التطرف والغلو في الدين، مصدر سابق، ص٩٨.
(٣) التطرف غير الجريمة، كمال أبو المجد، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٩، ص٣٦ - ٣٧.

سبل معالجة التطرف:

التحاكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ:

يُعد الرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الأصل الذي تقوم عليه معالجة مظاهر الغلو والانحراف الفكري؛ إذ إن الشريعة الإسلامية جعلت الوحيين المرجع الأعلى في بيان الأحكام وتصحيح المفاهيم، فلا يتحقق الاستقامة إلا بالاحتكام إليهما والالتزام بما تضمناه من توجيهات وأحكام. وقد أكد القرآن الكريم هذا الأصل في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١)، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾(٢)

وجاءت السنة النبوية مؤكدة لهذا المنهج، ومحذرة من الابتداع في الدين ومجاوزة حدوده، فقال النبي ﷺ:)وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ (٣)، وقال أيضًا: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ (٤)، وفي رواية أخرى(مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) (٥). وانطلاقًا من هذه النصوص، فإن الوقاية من الغلو لا تتحقق إلا بجعل الكتاب والسنة المرجع في فهم الدين واستنباط الأحكام، بعيدًا عن الأهواء أو التعصب للأشخاص والآراء. أما إذا قُدمت الأقوال والاجتهادات على نصوص الوحي، أو اقتصر الأخذ منها على ما يوافق الميول المسبقة، فإن ذلك يفضي إلى الانحراف عن المنهج الصحيح، وهو ما حذر منه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (٦).

ومن ثم فإن تحقيق الوسطية والاعتدال يقتضي إخضاع الأقوال والاجتهادات لميزان الكتاب والسنة، وجعل النصوص الشرعية هي المرجع الحاكم عند الاختلاف، دون تقديم آراء الأفراد أو تعظيمها على ما ثبت من الوحي.

(١) سورة النساء: الآية ٦٥.

(٢) سورة الاحزاب: الآية ٣٦.

(٣) أخرجه أحمد (٤ / ١٢٦، رقم ١٧١٨٤)، وأبو داود (٤ / ٢٠٠، رقم ٤٦٠٧)، والترمذي (٥ / ٤٤، رقم ٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح.

(٤) أخرجه مسلم (٣ / ١٣٤٣، رقم ١٧١٨).

(٥) أخرجه البخاري (٣ / ١٨٤، رقم ٢٦٩٧)، ومسلم (٣ / ١٣٤٣، رقم ١٧١٨).

(٦) سورة النور: الآية ٤٨ - ٥٠.

الخاتمة

إن معالجة ظاهرة الغلو والتطرف تقتضي، في المقام الأول، الوقوف على الأسباب الحقيقية التي أسهمت في نشأتها وتطورها؛ إذ إن نجاح أي معالجة علمية يرتبط ارتباطًا وثيقًا بتحديد العوامل المؤثرة في ظهور الظاهرة وتحليلها تحليلاً موضوعيًا. وقد بينت هذه الدراسة أن الغلو لا ينشأ نتيجة سبب واحد، وإنما هو ثمرة لتفاعل مجموعة من العوامل الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية، وفي مقدمتها ضعف التأصيل الشرعي، وسوء فهم النصوص الدينية، واتباع الأهواء، وضعف ثقافة الحوار، إلى جانب بعض الممارسات السياسية والاجتماعية التي قد تسهم في تعميق الشعور بالإقصاء أو التهميش، فضلاً عن الظروف الاقتصادية كالفقر والبطالة وما يترتب عليهما من آثار نفسية واجتماعية.

وإدراك هذه الأسباب يمثل الخطوة الأولى نحو بناء معالجات أكثر فاعلية، تقوم على أسس علمية تراعي طبيعة الظاهرة وتشعب أبعادها، بعيدًا عن الاقتصار على الحلول الجزئية أو المؤقتة. كما أن نجاح تلك المعالجات يستلزم تكامل الجهود بين المؤسسات الدينية والتربوية والإعلامية والاجتماعية، بما يحقق الوقاية من الانحراف الفكري ويعزز قيم الوسطية والاعتدال في المجتمع.

وتؤكد الدراسة أن الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية، والرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وفق الفهم الصحيح الذي قرره أهل العلم، يمثلان الأساس في ترسيخ الاعتدال، وتصحيح المفاهيم، والحد من أسباب الغلو والتطرف، بما يسهم في حماية الفرد والمجتمع، وتعزيز الأمن الفكري، والمحافظة على وحدة الأمة واستقرارها.

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، من أهمها:

١. أن الغلو يختلف عن التطرف من حيث المفهوم، وإن كان بينهما ارتباط وثيق، فكل غلو يمثل صورة من صور التطرف، بينما لا يصدق هذا الوصف على جميع صور التطرف.

٢. أن الغلو ظاهرة متعددة الأسباب، ولا يمكن تفسيرها بعامل واحد، بل تتداخل في نشأتها عوامل فكرية وتربوية واجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية.

٣. أن الجهل بأحكام الشريعة، وسوء فهم النصوص، والابتعاد عن منهج العلماء في الاستدلال، من أبرز العوامل المؤدية إلى الانحراف الفكري والغلو.

٤. أن الغلو الاعتقادي أشد خطرًا من الغلو العملي؛ لما يترتب عليه من آثار تمس العقيدة ووحدة الأمة واستقرارها.

٥. أن وسائل الإعلام والخطاب العام قد تؤدي دورًا مؤثرًا في تشكيل التصورات المتعلقة بالتطرف، الأمر الذي يستوجب اعتماد خطاب إعلامي يتسم بالدقة والموضوعية، ويبتعد عن التعميم أو الخلط بين الالتزام الديني المشروع والغلو المذموم.

٦. أن تحقيق الأمن الفكري يتطلب تكامل الجهود بين المؤسسات الدينية والتربوية والإعلامية والاجتماعية، بما يسهم في نشر ثقافة الاعتدال وتعزيز الوعي لدى مختلف فئات المجتمع.

٧. أن الاحتكام إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، وفق فهم صحيح ومنهج علمي رصين، يمثل الأساس في الوقاية من الغلو وتصحيح الانحرافات الفكرية.

التوصيات:

١. تعزيز برامج التوعية التي ترسخ قيم الوسطية والاعتدال في المؤسسات التعليمية والدعوية.

٢. دعم الدراسات العلمية المتخصصة في قضايا الأمن الفكري والغلو، وربطها بالواقع المعاصر.

٣. تطوير البرامج التدريبية الموجهة للشباب، بما يسهم في تنمية التفكير النقدي والحوار البنّاء.

٤. تمكين المؤسسات العلمية والبحثية من القيام بدورها في معالجة الانحرافات الفكرية وفق منهج علمي رصين.

٥. تشجيع الدراسات المقارنة التي تتناول ظاهرة الغلو من مختلف الجوانب الشرعية والفكرية والاجتماعية، بما يسهم في تقديم حلول أكثر شمولًا وفاعلية.

قائمة المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم.
· أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. سنن أبي داود. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.
· أبو حجر، يوسف أحمد. ظاهرة التطرف والغلو في الدين. دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م.
· أبو المجد، كمال. التطرف غير الجريمة. دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٩م.
· أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني. المسند. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
· البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
· الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. سنن الترمذي. تحقيق: بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
· الجوهري، أحمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
· ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي. المحكم والمحيط الأعظم. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
· الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. وزارة الإعلام، دولة الكويت، ٢٠٠٨م.
· الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي. الاعتصام. المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ.
· الطريري، عبد الوهاب بن ناصر. إرهاب المتطرفين. دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
· عبد الكافي، عمر. حقيقة التطرف. دار إحياء الكتب العربية، ١٩٨٨م.
· العقل، ناصر بن عبد الكريم. الغلو: أسبابه وآثاره وعلاجه. دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ

/ ١٩٩٧م.

· القطان، أحمد. الإسلام والإرهاب. دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

· القرضاوي، يوسف. الخصائص العامة للإسلام. مؤسسة قرطبة، الجيزة، ومكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط١، ١٤١٢هـ / ٢٠٠٠م.

· اللويحق، عبد الرحمن بن معلا. الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة. دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ.

· مجمع اللغة العربية بالقاهرة. المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م.

· مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.

· ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ.

· وجدي غنيم. من الإرهابي؟. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩م.

· التنبكتي، أحمد بابا. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج. تحقيق: علي عمر. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.